رسائل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) إلى الملوك والأمراء "دراسة نحـوية نصـية"

د. يوسف حسن حسن العجيلي
أستاذ اللسانيات والنحو والصرف المشارك، عميد كلية التربية، جامعة الحديدة، اليمن
الجمهورية اليمنية
dr.yhho1975@gmail.com

تاريخ تسلم البحث: ٢٥/ ١٠/ ٢٠٢٤م **تاريخ قبول البحث**: ١٥/ ١١/ ٢٠٢٤م

الملخص:

يهدف البحث إلى بيان مفهوم رسائل الرسول الأعظم – صلى الله عليه وسلم – إلى الملوك والأمراء، وبيان أهميتها في المستوى: الديني، السياسي، التاريخي، اللغوي والأدبي. ويهدف إلى الكشف عن دور كل من: الهيكل العام، والإحالة، والعلاقات النحوية، والعلاقات المعنوية، والسياق في بناء نصوص هذه الرسائل وتماسكها وتكوين دلالات عناصرها.

وقد اعتمد الباحث على المنهج الوصفي والتحليل. وتمثلت خطة البحث في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة. وذلك على النحو التالي:

فأما التمهيد، فعنوانه: (مدخل نظري)، وفيه ناقش البحث مفهوم: (الرسائل، ونحو النص).

وأما المبحث الأول: فعنوانه: (دور هيكل الرسائل العام في بناء النص ودلالاته وتماسكه).

وأما المبحث الثاني: فعنوانه: (دور الإحالة في بناء نصوص الرسائل ودلالاتها وتماسكها).

وأما المبحث الثالث: فعنوانه: (دور العلاقات النحوية والمعنوية في بناء نصوص الرسائل ودلالاتها وتماسكها).

وأما المبحث الرابع: فعنوانه: (دور السياق في بناء نصوص الرسائل ودلالاته وتماسكها).

وأما الخاتمة: فتضمنت أهم نتائج البحث وتوصياته.

وأهم النتائج التي توصل إليها البحث هي:

- مثلث هذه الرسائل عالمية الإسلام، وعالمية الرسالة المحمدية، ورسخت مبادئ الدبلوماسية والعلاقات السياسة في الإسلام.

- كان للهيكل العام لهذا الرسائل دور بارز في بناء النص ودلالاته وتماسكه.
- لعبت الإحالة دورا بارزا في ربط جمل نصوص الرسائل بعضها ببعض من خلال أربعة عناصر إشارية بارزة، وما ارتبط بكل منها من عناصر إحالية مشكلة شبكة متلاحمة على امتداد نص الرسالة.
- برزت علاقة (الشرط بالجواب) بوصفها علاقة نحوية وما تولد عنها من علاقات معنوية كالعلاقة السببية والعلاقة التقابلية بروزا واضحا في تماسك نصوص هذه الرسائل وبناء دلالاتها.
- كان للسياق دور بارز في تنوع أسلوب الخطاب في نصوص الرسائل بناء على المعرفة السابقة للرسول الأعظم -صلى الله عليه وسلم- لمقتضى حال المتلقي (المرسل إليه).

الكلمات المفتاحية: رسائل، الرسول الأعظم، الملوك والأمراء، نحوية نصية.

Letters of the Great Messenger (May God bless him and grant him peace) to Kings and Princes "A Textual Grammatical Study"

Dr. Yousef Hasan Hasan Al-Ogaili
Associate Professor of Linguistics, Grammar and Morphology - Dean of the Faculty of Education – Hodeidah, University of Hodeidah – Yemen
dr.yhho1975@gmail.com

Date of Receiving the Research: 25/10/2024 **Research Acceptance Date**: 15/11/2024

Abstract:

The research aims to clarify the concept of the letters of the Great Messenger – may God bless him and grant him peace - to kings and princes, and to show their importance at the religious, political, historical, linguistic and literary levels. It also aims to reveal the role of each of the following concepts: the overall structure, the reference, the syntactic relations, the semantic relations, and the context in constructing the texts of these letters, their coherence, and forming the meanings of their elements.

The researcher has relied on the descriptive approach in his study. The plan of this research consisted of a preface, an introduction, Four chapters, and a conclusion.

As for the introduction, entitled (A Theoretical Background), it examines the concepts of: (the letters, and the text syntax).

Chapter 1: (the role of the overall structure of the letters in constructing the text, its meanings, and its coherence).

Chapter 2: (the role of reference in constructing the texts of letters, their meanings and coherence).

Chapter 3: (the role of syntactic and semantic relations in constructing the texts of letters, their meanings and coherence).

Chapter 4: (the role of context in constructing the texts of letters, and their meanings and coherence).

The conclusion includes the most important results and recommendations of the study.

The most important results found in the present study are as follows:

- *These letters represent the universality of Islam and the universality of the Muhammadian message, in addition to establishing the principles of diplomacy and political relations in Islam.*
- *The general structure of these letters played a prominent role in constructing the text, its meanings and coherence.*
- *The reference played a prominent role in linking the sentences of the texts of the letters to each other through four prominent allusive*

elements besides the referential elements associated with each of them, forming a cohesive network throughout the text of the letters.

- *The relationship of (condition and answer), as a syntactic relationship along with the significance relationships that resulted from it, such as the causal relationship and the reciprocal relationship, was clearly prominent in the coherence of the texts of these letters and the construction of their meanings.*
- *The context has also played a distinctive role in the diversity of the styles of discourse in the texts of the letters based on the previous knowledge of the Great Messenger – may God bless him and grant him peace – of the requirements of the recipient's (addressee's) situation.*

Keywords: *Letters – The Great Messenger – Kings and Princes – Textual Syntactic.*

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم.

أما بعد...

فقد كانت رسائل الرسول الأعظم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) انطلاقا لتحقيق عالمية الإسلام تنفيذا لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء:١٠٧] ففي أعقاب صلح الحديبة توجه الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى دعوة الدول المجاورة، فأرسل سفراءه إلى ملوكها وأمرائها، وحمل كل سفير رسالة مضمونها الدعوة إلى الله وإلى الدخول في الإسلام؛ تحقيقا لعالمية الإسلام ولعالمية الرسالة المحمدية؛ فالرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) رسول إلى البشرية كلها، ورسالته غير مقتصرة على العرب فقط.

ومن هنا تجلت فكرة هذا البحث، وعنوانه: (رسائل الرسول الأعظم – صلى الله عليه وسلم– إلى الملوك والأمراء: دراسة نحـــوية نصـــية).

وتحددت **مشكلة البحث** في تساؤلات هي: ما أهمية هذه الرسائل على المستوى الديني، والسياسي، والتاريخي، واللغوي الأدبي؟ وما هي الآليات التي أسهمت في بناء نصوصها، وبناء دلالاتها، وتماسكها؟

وتكمن **أهمية هذا البحث** في كونه يتناول نصوص رسائل الرسول الأعظم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) إلى الملوك والأمراء دراسة وتحليلا في ضوء (نحو النص) الذي يمثل اتجاها حديثا في الدراسات اللغوية الحديثة. **ويمكن تلخيص أبرز النقاط التي تمثل أهمية هذا البحث وسبب اختيار مادته** في الآتي:

١. عظمة مضمون الرسائل، وهو الدعوة إلى الله وإلى الدخول في الإسلام.
٢. عظمة الرسالة المحمدية (الإسلام) في كونها رسالة عالمية، ليست مختصة بأمة من الأمم أو بشعب من الشعوب.
٣. عظمة صاحبها الرسول الأعظم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) الذي يمثل أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة في اللغة العربية بعد القرآن الكريم.
٤. تمثل هذه النصوص نوعا من التعامل السياسي والدبلوماسي للرسول الأعظم في تعامله مع ملوك الدول الأخرى وأمرائها.

٥. مثلت هذه الرسائل نصا مكتوبًا مرسلًا، لا نصًا ملفوظا، لـه خصوصـية تميـزه عـن بـاقي الأنواع الأدبية التي تقتضي وجود طرفي الاتصال معا كالخطابة وغيرها.

٦. تنوعت هذه الرسائل في مخاطبة ملوك وأمراء عرب، وملوك وأمراء أعاجم من ناحيـة، وفي مخاطبة الوثنيين، ومخاطبة أهل الكتاب من ناحية أخرى.

٧. جدية الدراسة وحداثتها.

وأما عـن الدراسات السابقة؛ فرسـائل الرسـول الأعظـم لم يـتم تناولهـا مـن قبـل بالـدرس والتحليل في ضوء (نحو النص) الذي يمثل اتجاها حـديثا في الدراسـات اللغويـة؛ فالدراسـات السابقة التي تناولت هذه الرسائل كانت دراسات تاريخية أو سياسـية أو بلاغيـة تراثيـة، ولم يـتم تناول هذه الرسائل في دراسات لسانية حديثة في ضوء (نحو النص) الذي يمثل اتجاها حـديثا في الدراسات اللسانية.

وقد سعت هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من **الأهداف**، أهمها:

- بيان مفهوم رسائل الرسول الأعظم – صلى الله عليه وسـلم – إلى الملـوك والأمـراء، وبيـان أهميتها في المستوى: الديني، السياسي، التاريخي، اللغوي والأدبي.
- الكشف عن دور كل مـن: الهيكـل العـام، والإحالـة، والعلاقـات النحويـة، والعلاقـات المعنوية، والسياق في بناء نصوص هذه الرسائل وتماسكها وتكوين دلالات عناصرها.

وقد اعتمد البحث في مادتـه التـي خضـعت للاسـتقراء والتحليـل والدراسـة عـلى رسـائل الرسول الأعظم –صلى الله عليه وسلم– إلى الملك والأمـراء المدونـة في كتـب السـيرة والتـاريخ والأحاديث.

وقد اعتمدت البحث في تحقيق أهدافه على المنهج الوصفي والتحليـل في ضـوء آليـات نحـو النص من خلال خطة تمثلت في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.

فأما المقدمة: فتضمنت موضوع البحث، وأهميته، وسبب اختياره، وأهدافه، ومنهجه، وخطتـه، والدراسات السابقة.

وأما التمهيد، فعنوانه: (مدخل نظري)، وفيه ناقش الباحث قضايا رئيسة تتعلق بعنوان البحث، وهي: المفهوم والأهمية لــ(رسائل الرسول الأعظم) بوصفها نصّـا لغويـا سياسـيا يمثـل دعـوة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) ملوك وأمراء الدول الأخـرى إلى الـدخول في الإسـلام، ومفهوم (نحوِ النص) بوصفه اتجاها حديثا في الدرس النحوي.

وأما المبحث الأول: فعنوانه: (دور هيكل الرسائل العام في بناء النص ودلالاته وتماسكه).

وأما المبحث الثاني: فعنوانه (دور الإحالة في بناء نصوص الرسائل ودلالاتها وتماسكها).

وأما المبحث الثالث: فعنوانه (دور العلاقات النحوية والمعنوية في بناء نصوص الرسائل ودلالاتها وتماسكها).

وأما المبحث الرابع: فعنوانه (دور السياق في بناء نصوص الرسائل ودلالاتها وتماسكها).

وأما الخاتمة: فستتضمن أهم نتائج البحث وتوصياته.

وأخيرا، فإن كنت سأوفق فيما أصبو إليه، فمن الله ذي الفضل والمنة، وإن تكن الأخرى، فمن نفسي، وحسبي أنني اجتهدت مخلصا، والكمال لله وحده.

التمهيد: مدخل نظري:

ويتضمن هذا المبحث محورين أساسين، كل محور منهما يمثل بعدا رئيسا في عنوان البحث، وهما:

- المحور الأول: رسائل الرسول الأعظم إلى الملوك والأمراء. وهو محور يناقش مفهوم هذه الرسائل، ويبين أهميتها، وأنواعها، ونماذجها.
- المحور الثاني: نحو النص. وهو محور يناقش مفهوم (نحو النص) بوصفه اتجاها حديثا في الدراسات اللسانية.

المحور الأول: رسائل الرسول الأعظم إلى الملوك والأمراء

أولا: المفهوم:

جاء في المعاجم اللغوية الإرسال التوجيه، وقد أرسل إليه، والاسم الرِّسالة والرَّسالة والرسول والرسيل[1]. والمقصود برسائل الرسول الأعظم إلى الملوك والأمراء التي هي مادة بحثنا هي تلك النصوص النثرية التي أملاها الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وكُتِبت، وختمت بخاتمه، وأرسلت إلى ملوك وأمراء خارج حدود مكة والمدينة، وخارج حدود الجزيرة العربية؛ يدعوهم فيها إلى الدخول في الإسلام؛ تحقيقا لعالمية الإسلام ولعالمية الرسالة المحمدية؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء:١٠٧]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٥٨].

ولمّا كانت هذه الرسائل نصوصا لغوية مؤداة باللسان العربي، صاحبها هو الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وهو أفصح وأبلغ من نطق بالعربية؛ فإنها من منظور الدراسات اللغوية والأدبية تمثل فنا أدبيا نثريا يندرج ضمن ما يسمى بالرسائل الديوانية؛ يقول أحمد الشايب متحدثا عن الرسائل الديوانية: " هي ما تصدر عن الدواوين أو ترد إليها خاصة بشئون الدولة وصوالحها تيسيرًا للعمل، وتثبيتًا للنظام العام؛ ويغلب على هذا النوع، الدقة والسهولة في

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١٤١٧هـ، مادة رسل، ج١١، ص٢٨٣. وينظر: الرازي، مختار الصحاح، تحقيق يوسف: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ، مادة: (رسل).

التعبير، والتقيد بالمصطلحات الحكومية والفنية، والمساواة في العبارة والبراءة من التهويل والتخيل"[2].

ثانيا: الأهمية:

تتجلى أهمية رسائل الرسول صلي الله عليه وسلم في النقاط الآتية:

الأهمية الدينية:

تمثل هذه الرسائل نقطة الانطلاق في تحقيق عالمية الإسلام وعالمية الرسالة المحمدية؛ فهي تنفيذ لأمر الله – سبحانه – في أن يتم تبليغ رسالة الإسلام إلى البشرية كلها؛ فدين الإسلام ليس مقتصرا على العرب أو على سكان الجزيرة العربية؛ بل هو دين عالمي، والرسول الكريم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) مرسل إلى العالمين، ومأمور بتبليغ هذا الدين إلى البشرية كلها؛ فهو خاتم الأنبياء والمرسلين. و"قد كان لتلك الرسائل دور كبير في تعميم الإسلام ونشره وتبليغه للناس، وتذكيرهم بما سبق التمهيد له والتبشير به على لسان الأنبياء ودعوتهم إلى الإيمان به"[3]؛ فالإسلام هو الدين الذي أراده الله للبشرية كلها.

الأهمية السياسية:

تمثل هذه الرسائل جانبا مهما من جوانب الأسلوب السياسي والدبلوماسي للرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) بوصفه رسولا قائدا في تعامله مع ملوك وأمراء الدول الأخرى وهو يدعوهم إلى دين الله. وهذه الرسائل تمثل بداية رسمية للعلاقات السياسية والدبلوماسية في الإسلام، وتعكس أسسها ومبادئها.

الأهمية التاريخية:

تمثل هذه الرسائل مرحلة تاريخية مهمة في سيرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) وفي تاريخ السلام؛ فهي تمثل أولى مراحل نشر الإسلام خارج الجزيرة العربية. وعلينا أن نقف عندها ونتأملها ونستلهم ما تضمنته فيها من دروس وعبر؛ فالمسلمون في عصرنا الحاضر يجب أن يكونوا امتدادا لحركة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) في نشر رسالة الإسلام.

(2) أحمد الشايب، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط: ٨، ١٤١١هـ، ص ١١٣.

(3) محمد شاكر، وعبد الوهاب طويلة، عالمية الإسلام ورسائل النبي إلى الملوك والأمراء، دار القلم، دمشق ص٨.

الأهمية اللغوية والأدبية:

تمثل هذه الرسائل ميدانا خصبا للدراسات اللغوية والأدبية بمختلف أنواعها واتجاهاتها؛ ذلك لكونها جرت على لسان الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم)، وهو أفصح من تكلم بالعربية وأبلغ، هذا من جانب، ومن جانب آخر لكونها نصوصا فنية أدبية نثرية تمثل الرسائل الديوانية في العهد النبوي لتضمنها محتوى سياسيا.

ثالثا: الأنواع:

على الرغم من تشابه هذه الرسائل في هيكلها العام وفي مضمونها وهو الدعوة إلى الدخول في الإسلام، فإنها تنوعت في خطابها وفقا لما يقتضيه خطاب المرسل إليه؛ وبذلك يمكن أن نقسم هذه الرسائل إلى قسمين باعتبار دين من أرسلت إليهم، وهذا القسمان هما:

- **أهل الكتاب**: ويمثل ذلك الرسائل المرسلة إلى: هرقل عظيم الروم، المقوقس عظيم القبط، النجاشي ملك الحبشة.
- **غير أهل الكتاب**: ويمثل ذلك الرسائل المرسلة إلى: كسرى عظيم فارس.
- ويمكن تقسيم هذا الرسائل إلى قسمين باعتبار مكانة من أرسلت إليهم، وهذا القسمان هما:
- **ملوك**: ويمثل ذلك الرسائل المرسلة إلى: النجاشي ملك الحبشة، هرقل ملك الروم، كسرى ملك فارس.
- **أمراء وعمال تابعون**: ومثال ذلك الرسالة إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين، والرسالة المرسلة إلى صاحبي عمان.

وتنقسم هذا الرسائل إلى قسمين باعتبار لغة من أرسلت إليهم، وهذا القسمان هما:

- **عرب**: ومثال ذلك الرسالة إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين، والرسالة إلى ملكي عمان، والرسالة إلى أمير اليمامة، والرسالة إلى أمير دمشق.
- **غير عرب**: ويمثل ذلك الرسائل المرسلة إلى: النجاشي ملك الحبشة، هرقل عظيم الروم، كسرى عظيم فارس، المقوقس عظيم القبط.

رابعا: نماذج من رسائل الرسول الأعظم إلى الملوك والأمراء[4]:

النموذج الأول: الرسالة إلى هرقل عظيم الروم، ونصها: "بِسْمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ، من محمدٍ عبدِ الله ورسولهِ إلى هرقلَ عظيمِ الروم، سلامٌ على منِ اتبعَ الهدى، أما بعدُ: فإني أدعوكَ بدعايةِ الإسلامِ، أسلِمْ تسلَمْ، وأسلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أجركَ مرتين، فإن توليتَ فإن عليكَ إثمَ الأريسيين. ويا أهلَ الكتابِ تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكمْ ألا نعبدَ إلا اللهَ ولا نُشْرِكَ به شيئاً ولا يتخذَ بعضُنا بعضاً أرباباً من دونِ الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون".

النموذج الثاني: الرسالة إلى كسرى عظيم فارس، ونصها: "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، وَآمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَشهد أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ اللهِ، فَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، لِأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ، فَإِنْ أَسْلَمْتَ أَمِنْتَ مُلْكَكَ، وَإِنْ أَبَيْتَ فَإِنَّ إِثْمَ الْمَجُوسِ عَلَيْكَ".

النموذج الثالث: الرسالة إلى ملك الحبشة، ونصها: "بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ من مُحَمَّدٍ رسولِ الله إلى النَّجاشيِّ مَلِكِ الحَبَشَةِ، سلمٌ أنت، فإنّي أَحمدُ إليكَ اللهَ الذي لا إلهَ إلا هو المَلِكَ القُدُّوسَ السلام المؤمنَ المُهَيْمِنَ، وأشهدُ أنَّ عيسى ابنَ مريمَ رُوحُ الله، وكَلِمَتُهُ أَلْقاها إلى مريمَ البَتولِ الطيِّبَةِ الحَصِينَةِ، فَحَمَلَتْ به، فَخَلَقَهُ من رُوحِهِ ونَفْخه، كما خَلَقَ آدمَ بِيَدِهِ، وإنّي أَدعوكَ إلى الله وَحدَهُ لا شَرِيكَ لهُ، والمُوالاةَ على طاعَتِهِ، وأنْ تَتَّبِعَني وتُؤْمِنَ بالذي جاءَني، فإنّي رسولُ الله، وإنّي أَدعوكَ وجُنُودَكَ إلى الله عز وجل، وقد بَلغْتُ ونَصَحْتُ فاقبَلوا نَصِيحَتي، والسَّلامُ على من اتَّبَعَ الهُدَى".

النموذج الرابع: الرسالة إلى المقوقس عظيم القبط، ونصها: "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ، إِلَى الْمُقَوْقِسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى. أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ إِثْمُ

(4) ينظر تلك الرسائل في المصادر الآتية: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٦٤٩، ص٦٥٢. وابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧ه، ص٢١٢، ص ٢١٥. والقلقشندي، صبح الأعشى، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط ١٣٣٣ه، ج٦، ص٣٧٦ وما بعدها. ومحمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٥ه، ص١٣٥ – ١٦٢.

الْقِبْطِ". يا أهلَ الكتابِ تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكمْ ألا نعبدَ إلا اللهَ ولا نُشْرِكَ به شيئاً ولا يتخذَ بعضُنا بعضاً أرباباً من دونِ اللهِ فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون".

النموذج الخامس: الرسالة إلى صاحبي عُمان ونصها: "بِسْمِ اللهِّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِّ إِلَى جَيْفَر وَعَبْدٍ، ابني الجلندي، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى. أما بعد...؛ فإني أَدْعُوكُمَا بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمَا تَسْلَمَا، فإني رسول الله إلى الناس كافة؛ لأنذر من كان حيا ويحقّ القولُ على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام؛ فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما".

النموذج السادس: الرسالة إلى أمير البحرين، ونصها: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك إلى الإسلام، فأسلم تسلم، وأسلم يجعل الله لك ما تحت يديك، وأعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر".

المحور الثاني: نحو النص

نحوُ النصِّ (Text grammar) اتجاهٌ حديث في الدرس اللغوي، كان بدايته -كما يرى معظم الباحثين- في النصف الثاني من القرن العشرين؛ وذلك حينما نشر العالم اللغوي زيليج هاريس (Zellig Harris) عام ١٩٥٢م دراستين اكتسبتا أهمية منهجية في تاريخ اللسانيات الحديثة تحت عنوان تحليل الخطاب (Discourse Analysis) لفت من خلالهما إلى أهمية التحليل الكلي للنماذج اللغوية. وقد تطورت الدراسات النصية في سبعينيات القرن العشرين على يد العالم الهولندي فان دايك (Van Dijk) الذي يعده كثير من الدارسين مؤسس علم النص أو نحو النص. وخطا نحو النص في ثمانينيات القرن العشرين خطوات متقدمة على يد العالم اللغوي روبرت دي بوجراند[5].

(5) ينظر: د. سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، الكتاب التذكاري المهدى إلى الأستاذ عبد السلام هارون، جامعة الكويت، ١٩٩٠م، ص٤٠٧ وما بعدها. ود. أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه حديث في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط: ١، ٢٠٠١م، ص١١. وإلهام أبو غزالة وعلي خليل أحمد، مدخل إلى علم لغة النص ص١٧ وما بعدها.

ونحو النص يتعامل مع النص بوصفه وحدة التحليل الكبرى؛ فيقف منه على جوانب تماسكه وترابطه، وسياقه، وما يتعلق بمنتجه ومتلقيه، وعلى كل ما يؤدي إلى فهم أعمق وأرحب للمعنى المراد من النص[6]. ويبين الدكتور حماسة مفهوم نحو النص بقوله: " نحو النص ينظر إلى العمل كله قصيدة أو غيرها على أنه وحدة التحليل، وليست الجملة. وهو لا يغني عن دراسة الجملة بطبيعة الحال، بل إنه يفيد من معطيات دراسة الجملة في تكوين هيكله وإقامة بنائه على اعتبار أن نحو الجملة بمكوناته يعد علاقات أفقية تتداخل في نسيج النص مع العلاقات الرأسية التي يمثلها نحو النص"[7]. ويضيف حماسة مبيّنا وظيفة نحو النص قائلا: "ونحو النص ليس نحوا تقويميا يعنى بالتصويب والتخطئة، ولكنه وصفي تفسيري يصف الظاهرة، ويحاول أن يفسّرها في إطار النص تفسيرا يتلاءم مع السياق الخاص بالنص نفسه"[8].

وأهم موضوعات نحو النص هو التماسك النصي الذي يقصد به الوقوف على العلاقات الشكلية الظاهرة الملفوظة التي تمثل معيار (السبك Cohesion) في معايير النصي، وعلى العلاقات المعنوية الملحوظة التي تمثل معيار (الحبك Coherence) في معايير النصية، وهذه العلاقات تعمل على ربط أجزاء النص وجمله بعضها ببعض، فيصير النص كلاً واحدًا، ويتم تحليل هذه العلاقات في ضوء بقية معايير النصية، وهي[9]:

- القصدية Intentionality. ويقصد بها موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك والحبك، وأن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها.
- المقبولية Acceptability. ويقصد بها موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك وحبك.

(6) د. يوسف العجيلي، التماسك النصي في شعر زهير بن أبي سلمى: دراسة نحوية نصية، رسالة دكتوراه جامعة عين شمس، ٢٠١٠م، ص٨.

(7) د. محمد حماسة، ظواهر نحوية في الشعر الحر: دراسة نصية في شعر صلاح عبد الصبور، دار غريب القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١٤٤.

(8) المصدر السابق: ص١٤٤.

(9) د. يوسف العجيلي، التماسك النصي في شعر زهير بن أبي سلمى: دراسة نحوية نصية، ص٦، ٧.

- الموقفية Situationality. ويقصد بها العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه.
- الإعلامية Informativity. ويقصد بها مدى توقع المتلقي أو عدم توقعه لما يقدمه النص من عناصر من حيث معرفتها أو عدم معرفتها، ومن حيث غموضها أو بساطتها المفرطة.
- التناص Intertextuality. ويقصد بها العلاقات بين نص ما ونصـوص أخـرى مرتبطـة بـه وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بواسطة أم بغير واسطة.

المبحث الأول: دور الهيكل العام للرسائل في بناء النص ودلالاته وتماسكه

من خلال استقراء رسائل الرسول –صلى الله عليه وسلم– إلى الملوك والأمـراء تبـيّن أن لهـا هيكلا عاما، وهذا الهيكل العام ارتبطت عناصره بعضها ببعض لتجسد البنية النصية لكل رسالة من هذه الرسائل، وقد توزعت هذه العناصر على ثلاثـة أجـزاء، هـي: مقدمـة ولهـا عناصرهـا، والمحتوى وله عناصره، وجملة رابطة بين المحتوى والمقدمة.

وسوف أقوم بتحليل كل عنصر من عناصر الهيكل العام لهذه الرسائل، لكـي أوضـح دوره في بناء النص وتماسكه، ولكي أكشف عن ملامح دلالات هذا الدور. وهذه العناصر هي:

أولا: البسملة: وهي العنصر الأول مـن عنـاصر المقدمـة. وقـد جـاءت البسـملة في رأس الرسالة، ونصها:

(بسم الله الرحمن الرحيم)، ويمكن إجمال مـا توصـل إليـه التحليـل بشـأن هنـا العنصر في النقاط الآتية:

١. افتتح الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالبسملة تيمنًا وتبركًا بذكر اسم الله دلالة على الإيـمان بالله، وعلى وحدانيته، قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [سورة العلق:١].

٢. حرف الجر (الباء) في جملة البسملة معناه الاستعانة، وبذلك فالرسول الكريم يسـتعين بـالله في أداء مهمته لتنفيذ أمر الله في دعوة الناس إلى الدخول في دين الله، وإيمان الرسول الكـريم بعون الله وتوفيقه هـو مـا جعلـه قويـا حكـيما سياسـيا في أسـلوب خطابـه لأمـراء الـدول وملوكها.

٣. الإتيان بالبسـملة الرسـائل فيـه تنـاص مـع قولـه تعـالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [سورة النمل:٣٠]؛ فسليمان عليه السلام كان يخاطب ملكة سبأ، ويدعوها إلى الله.

ثانيًا: ذكر المرسِل والمرسل إليه: وهو العنصر الثاني من عناصر المقدمة. ولكون النص رسالة مكتوبة تم فيها تحديد طرفيها (المرسل والمتلقي). والمرسل في جميع الرسائل هو الرسول الأعظم- صلى الله عليه سلم- والمتلقي (المرسل إليه) هم الملوك والأمراء الذين يدعوهم للإسلام. ويمكن إجمال ما توصل إليه التحليل بشأن هذا العنصر في النقاط الآتية:

١. يلاحظ في كل الرسائل أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يبدأ بذكر اسمه قبل اسم المرسل إليه، وذلك ليس لكونه المرسل ومنه الابتداء فحسب، بل في ذلك إشعار للطرف الآخر بعلو مكانته؛ لكونه رسول الله.

٢. البدء بذكر الرسول (صلى الله عليه وسلم) لاسمه قبل اسم المرسل إليه فيه إشعار للطرف الآخر بالثقة بالنفس النابعة من الثقة بنصر الله، وفيه إشعار بالهيبة والاعتزاز والقوة النابعة من الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبتوفيقه وبنصره.

٣. البدء بذكر الرسول (صلى الله عليه وسلم) لاسمه قبل اسم المرسل إليه يُحدِث في نفس المرسل إليه نوعًا من التساؤل والدهشة؛ فتجعله يفكر مليًّا في أن هذا الخطاب خطاب واثق من نفسه، وليس خطاب إنسان ضعيف، وأنه خطاب من يعتمد على قوة لا ندرك سرها، لكنه هو يدركها. وهنا تتجلى قصدية المرسل (صلى الله عليه وسلم) في إيصال هذه المعاني إلى المتلقي (المرسل إليه).

ثالثًا: تحية المرسل إليه: وهو العنصر الثالث من عناصر المقدمة. ومثّل هذا العنصر في معظم رسائل الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم جملة (سلام على من اتبع الهدى). وحين نتأمل هذه الجملة ونحللها نجدها جملة إنشائية، الغرض منها الدعاء لمن أرسلت إليه بالهداية، وفيها أن هذا السلام مقصور على من اتبع الهدى، وهي بذلك على قصرها تمثل ذكاء سياسيا في مخاطبة غير مسلمين لكنهم في الوقت نفسه مدعوون للدخول في الإسلام؛ فتضمنت دعاء وترغيبا وترهيبا. وفيها تناص مع قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [سورة طه:٤٧].

رابعا: جملة (أما بعد): وهذا العنصر يمثل الجزء الثاني من أجزاء الرسالة، ويتمثل دوره في بناء النص في كونه الجزء الذي يربط الجزء الأول من الرسالة (المقدمة) بالجزء الثالث من الرسالة (المحتوى). وعلى الرغم من تسميتها في كتب النحو بـ (فصل الخطاب)؛ فهي جملة رابطة وواصلة بين مقدمة الرسالة ومحتواها؛ فهي بمثابة الجسر الذي يربط بين ضفتين ليجعلهما شيئًا واحدًا؛ فجملة (أما بعد) جملة شرطية يتعلق فيها الجواب بالشرط، وشرطها هو الكلام الذي

تقدم عليها، وجوابها هو الكلام الذي أتى بعدها؛ فجاء مقترنا بفاء الجواب. وبذلك تمثل هذه الجملة آلية من آليات تماسك النص وسبكه في مستوى العلاقات الشكلية الظاهرة في سطح النص.

خامسا: ذكر مضمون الرسالة: وهو العنصر الأول من الجزء الثالث من أجزاء النص (المحتوى). وقد جاء مضمون الرسائل كلها واحدا؛ وذلك لأن هدف المرسل من الرسالة شيء واحد محدد ومعين، وهو الدعوة إلى الدخول في الإسلام دين الله. ويتمثل ذلك في قول الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– في معظم رسائله (فإني أدعوكَ بدعايةِ الإسلامِ).

سادسا: ذكر موقف المتلقي وما يترتب عليه: وهو العنصر الثاني من الجزء الثالث من أجزاء النص (المحتوى)، وإنه لما كان مضمون الرسالة الدعوة إلى الدخول في الإسلام؛ فإن المتلقي للرسالة (المرسل إليه) أمامه خياران، الأول هو تلبية الدعوة والدخول في الإسلام، والخيار الآخر رفض الدعوة. وهنا في هذا العنصر- يبين الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) في رسائله ثواب الخيار الأول في موقف المتلقي للرسالة، وعقاب الخيار الثاني في موقف المتلقي للرسالة، فالثواب للخيار الأول هو السلامة في الدنيا من زوال ملكه والسلامة في الآخرة من عقاب الله، وهذا يوضحه قول الرسول كما جاء في نص رسالته لهرقل: (أسلِمْ تسلَمْ، وأسلمْ يُؤْتِكَ اللهُ أجركَ مرتين) وقول الرسول الكريم في رسالته لكسرى (فإن أَسْلَمْتَ أَمِنْتَ مُلْكَكَ). والعقاب للخيار الثاني هو أن المتلقي (المرسل إليه) يتحمل إثم نفسه وإثم رعاياه، وهذا يوضحه قول الرسول الكريم في رسالته لهرقل (فإن توليتَ فإن عليكَ إثمَ الأريسيين) وقول الرسول الكريم في رسالته لكسرى (وَإِنْ أَبَيْتَ فَإِنَّ إِثْمَ الْمَجُوسِ عَلَيْكَ).

المبحث الثاني: دور الإحالة في بناء نصوص الرسائل ودلالاته وتماسكها

أولا: مفهوم الإحالة:

تلعب الإحالة دورا كبيرا في تماسك النص؛ فهي تمثل مظهرا من مظاهر المعيار الأول للنصية، ألا وهو السبك؛ فالعلاقات التي تنتج من خلالها علاقات ملفوظة ظاهرة على سطح النص، هذه العلاقات تجعل من النص كلًّا واحدا متماسكا.

ويمكن أن نعرف الإحالة بأنها "تلك العلاقة التي يحدثها منتج النص بين عنصر لغوي مبهم يوجد في النص يتمثل في ضمير أو اسم إشارة أو اسم موصول وما يفسره ويوضحه، سواء

أكان هذا المفسِّر يقع داخل النص أم خارجه"[10]. وبـذلك تتكـون البنيـة النصـية للإحالـة مـن عنصرين، هما:

العنصر الإحالي: وهو (الضمير، أو الاسم الموصـول، أو اسـم الإشـارة)، وكلهـا عنـاصر لغوية مبهمة تحتاج إلى ما يفسرها، وبذلك يكون العنصر الإحالي هو المحدد لاتجاه الإحالة حـين نسير معه بحثا عما يفسر إبهامه.

العنصر الإشاري: وهو ما يفسِّر الإبهام الحاصل في العنصر الإحـالي. والعنـاصر الإشـارية تمثل معلما لذاتها لا يقوم فهمها أو إدراكها على غيرها[11].

ثانيا: فاعلية الإحالة في نصوص الرسائل:

ولتوضيح فاعلية الإحالة في بناء نصوص هذه الرسائل سيتم إجراء التحليـل عـلى إحـدى هذه الرسائل، وهي الرسالة إلى هرقل عظيم الـروم؛ لكونهـا تضـمنت جميـع جوانـب الرسـائل بمختلف أنواعها من خلال رسم مخطط لشكل الإحالة، ثم نتبعه بالتحليل، وذلـك عـلى النحـو التالي:

(10) د. يوسف العجيلي، التماسك النصي في شعر زهير بن أبي سلمى، دراسة نحوية نصية، ص: ١٠٩.

(11) الأزهر الزناد، بحث فيما يكون الملفوظ به نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص١١٦.

أ. مخطط شكل الإحالة:

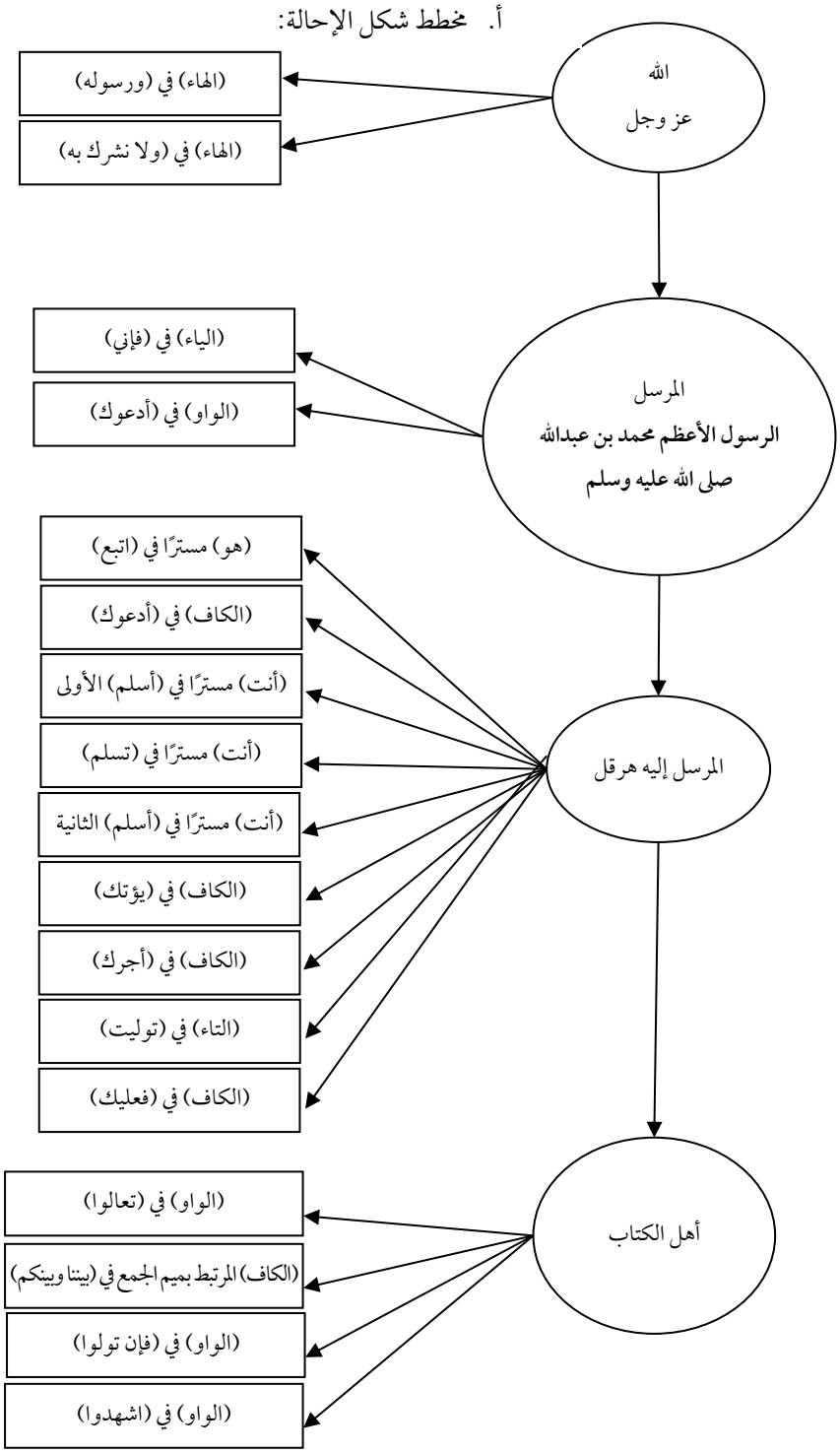

أ. تحليل الإحالة:

إذا تأملنا في العناصر الإشارية نجدها تتمثل في: [(الله)، (الرسـول)، (هرقـل)، (أهل الكتاب)] وهذه العناصر تمثل الدعوة إلى الله.

فالعنصر الإشاري الأول (الله) هو الذي كلف رسوله بتبليغ الـدين الإسـلامي إلى البشـرية كلها، وهو المطلوب منا جميعًا الإيمان بـه، الإيـمان بوحدانيتـه، ونبـذ الشـرك بـه؛ وبـذلك فهـذا العنصر يمثل الهدف الأساسي في رسائل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم).

والعنصر الثاني من العناصر الإشـارية هـو (الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم)، وهـو يمثـل (المرسل) بوصفه أحد طرفي الرسالة، وهو المكلف من الله سبحانه وتعالى بتبليغ الدين الإسلامي إلى الناس كافة.

والعنصر الثالث من العناصر الإشارية في البنية الإحالة هو (هرقـل عظـيم الـروم) بوصـفه المرسل إليه، وهو من اتجهت رسالة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إليه، يدعوه فيهـا إلى الإيـمان بالله الواحد، وإلى الدخول في الإسلام وترك الشرك.

والعنصر الرابع من العناصر الإشارية في البنية الإحالة في رسـالة الرسـول (صـلى الله عليـه وسلم) إلى هرقل هو (أهل الكتاب)، وقد جاء هذا العنصر ـ لارتباطـه الوثيـق بالعنصر ـ السـابق (هرقل)؛ فهرقل وقومه من أهل الكتاب، وعلى هرقـل إيصـال دعـوة الرسـول (صـلى الله عليـه وسلم) إليهم، وإلا فإنه يتحمل إثمهم، وقد جاء هذا العنصـر في الآيـة الكريمـة التـي اقتبسـها الرسول الكريم وضمنها رسالته، وهذا يحمل دلالـة عظيمـة عـلى بلاغـة ودبلوماسـية الرسـول الأعظم في التعامل مع الآخر؛ فمخاطبة (أهل لكتاب) لا يكون كمخاطبة منهم ليسوا مـن أهـل الكتاب.

وإذا تأملنا العناصر الإحالية لكل عنصر إشاري نجد الدلالات الآتية:

- العناصر الإحالية المرتبطة بالعنصر الإشاري (الله) هي: **العنصر الإحالي الأول** هو (الهاء) في (ورسوله)، وهذه الإحالة تحمل دلالة أن حركة الرسـول الأعظـم مرتبطـة بـالله –سـبحانه وتعالى– فهو رسول الله إلى الناس كافة؛ فالضمير (الهاء) أضيف إليه كلمة (رسول)، وكـان موقعه في الجزء الأول من الرسالة.

والعنصر الإحالي الثاني هو الضمير (الهاء) في (ولا نشرك به) فهو مع حرف الجر متعلقان بالفعل المنفي (نشرك). وفي هذا دلالة على أن النقطة المحورية في الرسالة هو الإيمان بالله وعدم الإشراك به، وجاء موقعه في الجزء الأخير من الرسالة.

ومجيئ البنية الإحالية إلى العنصر الإشاري (الله) في الجزء الأول وفي الجزء الأخير من الرسالة يحمل دلالة عظيمة على كون الله (عز وجل) منه الابتداء، وإليه الغاية، فمنه صدر التكليف للرسول الكريم بتبليغ الدعوة التي غايتها الإيمان بالله الواحد، وعدم الشرك به.

- العناصر الإحالية المرتبطة بالعصر الإشاري (محمد رسول الله) هي: **العنصر الإحالي الأول** هو الضمير (الياء) في (فإني..)، **والعنصر الإحالي الثاني** هو الضمير (الواو) في (أدعوك). وقد جاء الضمير (الياء) في موقع المبتدأ للجملة الإسمية (فإني أدعوك)، وجاء الضمير (الواو) في موقع الفاعل للجملة للفعلية (أدعوك).

وهذه البنية الإحالية تحمل دلالة في كون الرسول الكريم هو من انطلقت منه الرسالة، وهو القائم بها، وهو من يتحرك تحركا مستمرًا في تبليغها.

- العناصر الإحالية المرتبطة بالعنصر الإشاري (هرقل عظيم الروم) هي: الضمير (الهاء) مستترا في (اتبع الهدى)، والضمير (الكاف) في (أدعوك)، والضمير (أنت) في (أسلم)، والضمير(أنت) في (تسلم)، والضمير (الكاف) في (يؤتك)، والضمير (الكاف) في (أجرك)، والضمير (التاء) في (توليت)، والضمير (الكاف) في (عليك). ونلاحظ في هذه البنية الإحالية أنها استمرت أكثر من غيرها على مستوى الرسالة؛ وذلك لكون عنصرها الإشاري هو المخاطب وهو المدعو إلى مضمون الرسالة والمقصود بها.

وعلى الرغم من طول هذه البنية الإحالية أكثر من غيرها؛ فإننا نجد ضمرين هما أكثر حضورًا في هذه البنية، وهما (الكاف)، و(أنت)، وقد جاء (الكاف) لكونه مخاطبًا، وجاء الضمير (أنت) في موقع تحرك موقفه من الرسالة وما يترتب عليه.

- العناصر الإحالية المرتبط بالعنصر الإشاري (أهل الكتاب) وهي: الضمير (الواو) في (تعالوا)، والضمير الكاف في (بينكم)، والضمير (الواو) في (تولوا) والضمير (الواو) في (اشهدوا). ونلاحظ في هذه البنية الإحالية لهذا العنصر الإشاري غلبة ضمير الجماعة (الواو) واشترك معه الضمير (الكاف) المرتبط بمبم الجمع؛ وذلك لكونهم جماعة (أهل الكتاب). وهذا (الواو) ارتبط بالأفعال (تعالوا)، (تولوا)، (اشهدوا)؛ فالأول يمثل

دعوتهم ومجاجتهم بالبراهين على وحدانية الله، والثاني يمثل موقفهم من الدعوة وهو التولي، والثالث يمثل إقامة الحجة بالشهادة بأن المسلمين على حق في إسلامهم؛ وذلك لأنهم أهل الكتاب وكتابهم يقر بأن الإسلام هو الدين الحق.

وهكذا شكلت الإحالة في هذا النص ممثلة في عناصرها الإشارية وما ارتبط بها من عناصر إحالية شبكة متلاحمة على امتداد نص الرسالة؛ فأسهمت بقوة في بناء النص وتماسكه سبكا وحبكا.

المبحث الثالث: دور العلاقات النحوية والمعنوية في بناء نصوص الرسائل ودلالاتها وتماسكها

من خلال التأمل في رسائل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) إلى الملوك والأمراء نجد أن علاقة (الشرط بالجواب) بوصفها علاقة نحوية قد لعبت دورًا بارزًا في ترابط أجزاء هذه النصوص وجملها، بل يكاد مضمون هذه الرسائل قائم على هذه العلاقة، ويتضح ذلك في التالي:

- قوله –صلى الله عليه وسلم– في رسائله **(أما بعد)**:

نجدها جملة شرطية ربطت الجزء الأول من الرسائل وهو المقدمة بالجزء الأخير وهو المحتوى؛ فما قبل جملة (أما بعد) من كلام يمثل الشرط، وما بعدها من كلام يمثل جواب هذا الشرط؛ حيث جاء الكلام بعدها مقترنا بفاء جواب الشرط.

وبذلك تكون هذه الجملة قد مثلت جسرًا رابطا بين أجزاء نصوص الرسالة على مستوى الهيكل العام لكل رسالة من خلال علاقة الشرط النحوية.

- قوله –صلى الله عليه وسلم– في رسائله: **(أسلم، تسلم)**:

فهاتان جملتان ارتبطتا معًا بواسطة علاقة نحوية هي علاقة الشرط بالجواب؛ فالجملة الأولى جاء فعلها فعل أمر، وهذا الأمر يتضمن شرطًا ويحتاج إلى جواب، فجاءت الجملة الثانية التي فعلها مضارع (تسلم) جوابا لهذا الشرط، فالحصول على السلامة في الدنيا والآخرة وهو ما تمثله جملة (تسلم) مقرون بالدخول في الإسلام وهو ما تمثله جملة (أسلم).

- قوله (صلى الله عليه وسلم): **(أسلم، يؤتك الله أجرك مرتين)**:

فهاتان الجملتان ارتبطتا معًا برباط وثيق من خلال علاقة نحوية هي علاقة الشرط بالجواب، فالجملة الأولى (أسلم) جملة فعلية فعلها فعل أمر، وهذا الأمر تضمن شرطا يحتاج إلى جواب، فكان الجواب ممثلا في الجملة الثانية (يؤتك الله أجرك مرتين) التي جاء

فعلها مضارع مجزوما، فالحصول على الأجر في الدنيا والآخرة، وهو ما تمثله جملة (يؤتك الله أجرك مرتين) مقرون بالدخول في الإسلام، وهو ما تمثله جملة (أسلم).

- وقوله (صلى الله عليه وسلم): (**فإن توليت؛ فإن عليك إثم**...):

وهنا نلاحظ أنَّ (إنْ) الشرطية قد ربطت جملتين برباط وثيق؛ فالجملة الأولى (توليت) جاءت جملة فعلية فعلها ماض، وهذا الجملة هي جملة الشرط، وأما الجملة الثانية (فإن عليك إثم...) فقد مثلت جوابا لهذا الشرط، ولذلك جاءت مقترنه بفاء الجواب لكونها جملة اسمية.

- هذا الربط الشرطي بهذه العلاقة النحوية قد مثل مضمون الرسائل، وهو الدعوة إلى الدخول في الإسلام وما يرتب على ذلك في حالة الموافقة على الدعوة وفي حالة رفض الدعوة؛ فأسهمت هذه العلاقة النحوية في تماسك النص وبناء دلالاته في مستوى السبك Cohesion.

وقد تولدت عن هذه العلاقة النحوية الشرطية علاقتان معنويتان هما:

- **العلاقة السببية**: والعلاقة السببية تربط الكلام بعضه ببعض ربطا معنوينا ملحوظا لا ملفوظا؛ فبعض الكلام يكون سببًا، وبعضه يكون نتيجة لهذا للسبب؛ فجملة (أسلم) كانت سببًا في حدوث النتيجة التي هي جملة (تسلم). وجملة (يؤتك الله أجرك مرتين) كانت نتيجة لجملة (أسلم) الثانية، وجملة (أبيت) سبب نتيجته جملة (فإن عليك إثم...).
- **العلاقة التقابلية**: إن موقف المرسل إليهم من دعوة الرسول الكريم إلى الدخول في الإسلام يحتمل أمرين متقابلين أحدهما: الموافقة والدخول في الإسلام، والآخر: الرفض والبقاء على الشرك، وكل أمر منهما يترتب عليه أشياء؛ فقول الرسول الكريم (أسلم، تسلم، أسلم يؤتيك الله اجرك مرتين) يمثل الأمر الأول وهو أمر الموافقة على الدخول في الإسلام، وهذا يرتب عليه السلامة في الدنيا والآخرة والحصول على الأجر والثواب.

وقوله: –صلى الله عليه وسلم– (فإن أبيت، فإن عليك إثم...) يمثل الأمر الآخر، وهو أمر الرفض والتولي والبقاء على الشرك، وهذا يرتب عليه تحمل الإثم والزور.

وهكذا يتبين لنا كيف أسهمت العلاقة النحوية وما تولّد عنها من علاقات معنوية في بناء نصوص هذه الرسائل وتماسكها سبكا وحبكا.

المبحث الرابع: دور السياق في بناء نصوص الرسائل ودلالاتها وتماسكها

لعب السياق دورًا مهما في بناء نصوص رسائل الرسول الأعظم – صلى الله عليه وسلم- وقد تمثل هذا السياق في (المعرفة السابقة للرسول الكريم بأحوال وأخبار من راسلهم). وهذا السياق أدى إلى أن تتنوع الرسائل في بعض معانيها وفي أسلوب خطابها بناء على مقتضى حال المرسل إليه.

ويمكن إبراز دور هذا السياق من خلال النقاط الآتية:

- إضافة وصف أو لقب للمرسل إليه أو عدم إضافته:

نلاحظ أن رسائل الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى هرقل وإلى النجاشي وإلى كسرى تضمنت ألقابًا مثل: عظيم الروم، ملك الحبشة، عظيم فارس، بينما رسائله إلى ملكي عمان، وأمير البحرين لم تتضمن هذا الألقاب؛ وذلك لمعرفة الرسول الأعظم السابقة بأن صاحبي عمان وأمير البحرين لا يملكون من أمرهم شيئا؛ فهم أمراء وعمال لملوك آخرين؛ فقد كان صاحبي عمان يتبعان الدولة الفارسية، ويحكمها ملك فارس، وكان أمير البحرين كذلك.

- تضمين الرسالة آيات من القرآن أو عدم تضمينها:

نلاحظ أن رسالة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى هرقل وإلى المقوقس قد تضمنتا اقتباسا للآية الكريمة ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران:٦٤] وغاب هذا الاقتباس لهذه الآية الكريمة في الرسائل الأخرى.

والسبب في ذلك معرفة الرسول (صلى الله عليه وسلم) السابقة أن هرقل والمقوقس من أهل الكتاب يدينان بالنصرانية؛ فلهما أجران في حالة إسلامهما، أجر على ما كانا عليه من دين سابق، وأجر على دخولهما في الإسلام، وأما كسرى فقد غابت هذه الآية الكريمة في الرسالة الموجهة إليه لمعرفة الرسول (صلى الله عليه وسلم) السابقة بكونه وثنيا مجوسيا يعبد النار، لا دين له ولا كتاب.

ونلاحظ أن الرسالة إلى كسرى وإلى صاحبي عمان قد تضمنتا اقتباسا مع الآية الكريمة ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وغاب هذا الاقتباس في الرسائل الموجهة إلى أهل الكتاب؛ وذلك يعود إلى أن هذه الآية تضمنت ذكر (الكافرين)، فهي إن كانت تتناسب في مخاطبة الوثنيين، فهي لا تتناسب في مخاطبة أهل الكتاب.

- الحديث عن عيسى وعن أمه عليهما السلام في رسالة النجاشي فقط.

اختلفت رسالة النجاشي عن رسالة هرقل ورسالة المقوقس في كونها تضـمنت حـديثا مطولًا عن عيسى، وعن أمه عليهما السلام، وعن كيفية خلقه كما خلـق آدم عليـه السـلام، وذلك يعود لمعرفة الرسول (صلى الله عليه وسلم) السابقة بأن عقيـدة النجـاشي النصرـانية عقيدة صحيحة غير محرفة؛ فهو لا يقول بألوهية المسيح عيسى، ولا يقول: إنه ابن الله، بينما هرقل والمقوقس كان يعرف الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأن عقيدتهما النصرـانية محرفـة، فهما يدينان بألوهية المسيح عيسى عليه السلام ويعتبرونه ابن الله.

- التأكيد على بقاء ملك المرسل إليه أو زواله في بعض الرسائل:

تضمنت الرسائل إلى الأمراء العرب جملا توكد بقاء ملكهم في حالة إسلامهم، وزوال ملكهم في حالة عدم إسلامهم، وأن دين الإسلام سيبلغ منتهى الخف والحافر، وهذا ظاهر في قول الرسول الأعظم: (إن أقررتما بالإسلام ويلتكما)، وفي وقوله: (فإن ملككما زائـل)، وفي قوله: (خيلي تحل بساحتكما)، وفي قوله: (واعلـم أن دينـي سـيظهر إلى منتهـى الخـف والحافر)؛ وذلك يعود إلى علم الرسول (صلى الله عليه وسلم) السابق بأنهم عـمال تـابعون لموك آخرين، ولا يملكون من أمرهم شيئا، وأن كل ما يهمهم هـو بقـاء ملكهـم، وكـل مـا يخافونه هـو زوال ملكهـم؛ فـأراد الرسـول الأعظـم أن يطمئـنهم ببقـاء ملكهـم في حالـة إسلامهم، وأن زوال ملكهم مقرون برفضهم الدخول في الإسلام؛ لذلك اسـتعمل معهـم أسلوب الترغيب والترهيب فيما يتعلق بشأن ملكهم.

- ذكر تحميل المرسل إليه إثم رعاياه:

تضمنت الرسالة إلى هرقل، والرسالة إلى كسرى والرسالة إلى المقوقس جملا هي:

"فإن عليك إثم الارسين"، "فإن عليك إثم المجوس"، فإن عليك إثم القبط"؛ وذلـك يعود إلى معرفة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأن رعايا هؤلاء الملوك يتبعـونهم في الـدين، وأن هؤلاء الملوك قد يقفون حائلًا دون وصول رسالة الإسلام إلى رعاياهم، وغابـت هـذه الجملة في بقية الرسائل لانتفاء السبب.

الخاتمة

وتتضمن اهم النتائج والتوصيات:

أولًا: النتائج:

١. مثلث هذه الرسائل عالمية الإسلام، وعالمية الرسالة المحمدية، ورسخت مبادئ الدبلوماسية والعلاقات السياسة في الإسلام.

٢. كانت رسائل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) إلى الملوك والأمراء تحركًا عمليًا لتحقيق عالمية الإسلام ونشره في كل بقاع المعمورة تنفيذًا لأمر الله سبحانه وتعالى.

٣. كان للهيكل العام لهذا الرسائل دور بارز في بناء نصوصها ودلالاتها وتماسكها.

٤. لعبت الإحالة دورا بارزا في ربط جمل نصوص الرسائل بعضها ببعض من خلال أربعة عناصر إشارية بارزة، وما ارتبط بكل منها من عناصر إحالية مشكلة شبكة متلاحمة على امتداد نص الرسالة.

٥. برزت علاقة (الشرط بالجواب) بوضعها علاقة نحوية وما تولد عنها من علاقات معنوية بروزا واضحا في تماسك نصوص هذه الرسائل وبناء دلالاتها.

٦. كان للسياق دور بارز في تنوع أسلوب الخطاب في نصوص الرسائل بناء على المعرفة السابقة للرسول الأعظم -صلى الله عليه وسلم- لمقتضى حال المتلقي (المرسل إليه).

ثانيا: التوصيات:

١. يوصي الباحث بترجمة رسائل الرسول الأعظم -صلى الله عليه وسلم- إلى أبرز لغات العالم ونشرها في البلدان الأجنبية؛ تحقيقا لعالمية الدعوة الإسلامية.

٢. يوصي الباحث بعقد دورات ثقافية لمن يعملون في السلك الدبلوماسي يطلعون من خلالها على البعد السياسي والدبلوماسي عند الرسول الأعظم-صلى الله عليه وسلم- في مخاطبته وتعامله مع ملوك وأمراء الدول الأخرى.

٣. يوصي الباحث بالتحدث باللغة العربية عند تمثيل بلاد المسلمين في المحافل الدولية؛ اعتزازا بالهوية الإيمانية وبلغتنا العربية لغة القرآن الكريم، واقتداء برسولنا الكريم؛ فالرسول(ص) خاطب الملوك والأمراء بلغته العربية لا بلغاتهم.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. ابن الاثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧ه
٢. ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١٤١٧هـ.
٣. أحمد الشايب، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط: ٨، ١٤١١هـ
٤. د. أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه حديث في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط: ١، ٢٠٠١م.
٥. إلهام أبو غزالة وعلي خليل أحمد، مدخل إلى علم لغة النص: تطبيق لنظرية ريبورت ديبوجراند وولفجانج دريسلر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ٢، ١٩٩٩م.
٦. الأزهر الزناد، بحث فيما يكون الملفوظ به نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م
٧. الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ
٨. د. سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، الكتاب التذكاري المهدى إلى الأستاذ عبد السلام هارون، جامعة الكويت، ١٩٩٠م.
٩. القلقشندي، صبح الأعشى، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط ١٣٣٣ه
١٠. د. محمد أمين شاكر حلواني، وعبد الوهاب عبد السلام طويلة، عالمية الإسلام ورسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء: دار القلم، دمشق.
١١. د. محمد حماسة، ظواهر نحوية في الشعر الحر: دراسة نصية في شعر صلاح عبد الصبور، دار غريب القاهرة، ٢٠٠١م
١٢. محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٥ه
١٣. د. يوسف العجيلي، التماسك النصي في شعر زهير بن أبي سلمى: دراسة نحوية نصية، رسالة دكتوراه جامعة عين شمس، ٢٠١٠م.

Romanization of references

- *Al-Quran al-Karim.*

1. *Ibn al-Athir، Al-Kamil fi al-Tarikh، tahqiq: Abdullah al-Qadi، Dar al-Kutub al-Ilmiyya، Beirut، T1، 1407H.*
2. *Ibn Manzur، Lisan al-Arab، Dar Ihya al-Turath al-Arabi، Beirut، T 1417H.*
3. *Ahmad al-Shayib، Al-Aslub، Maktabat al-Nahda al-Misriyya، Cairo، T: 8، 1411H.*
4. *Dr. Ahmad Afifi، Nahw al-Nass: Ittijah Hadith fi al-Dars al-Nahwi، Maktabat Zahra al-Sharq، Cairo، T: 1، 2001M.*
5. *Ilham Abu Ghazala wa Ali Khalil Ahmad، Madkhal ila Ilm Lughat al-Nass: Tatbiq li-Nazariyat Reprt De Beaugrande wa Wolfgang Dressler، al-Hay'a al-Misriyya al-Amma lil-Kitab، T: 2، 1999M.*
6. *Al-Azhar al-Zanad، Bahth fima Yakun al-Malfuz bihi Nassan، al-Markaz al-Thaqafi al-Arabi، Beirut، T1، 1993M.*
7. *Al-Razi، Mukhtar al-Sihah، tahqiq: Yusuf al-Shaykh Muhammad، al-Maktaba al-Asriyya، Beirut، T5، 1420H.*
8. *Dr. Saad Masluh، Al-Arabiyya min Nahw al-Jumla ila Nahw al-Nass، al-Kitab al-Tadhkari al-Muhda ila al-Ustad Abd al-Salam Harun، Jamiat al-Kuwait، 1990M.*
9. *Al-Qalqashandi، Subh al-Asha، al-Matba'a al-Amiriyya، Cairo، T 1333H.*
10. *Dr. Muhammad Amin Shakir Halwani wa Abd al-Wahhab Abd al-Salam Tawila، Alamiyyat al-Islam wa Rasa'il al-Nabi Salla Allahu alayhi wa sallam ila al-Muluk wa al-Umara: Dar al-Qalam، Damascus.*
11. *Dr. Muhammad Hamasa، Zawahir Nahwiyya fi al-Shi'r al-Hurr: Dirasat Nassiyya fi Shi'r Salah Abd al-Sabur، Dar Gharib، Cairo، 2001M.*
12. *Muhammad Hamid Allah، Majmu'at al-Watha'iq al-Siyasiyya lil-Ahd al-Nabawi، Dar al-Nafais، Beirut، 1405H.*
13. *Dr. Yusuf al-ogaili، Al-Tamasuk al-Nassi fi Shi'r Zuhayr bin Abi Sulma: Dirasat Nahwiyya Nassiyya، Risalat Dukturah، Jamiat Ayn Shams، 2010M.*